



## تكاوست عبر التاريخ

الدكتور

دريس الناقوري

ملخص المداخلة:

ركزت مداخلة الأستاذ الباحث إدريس نقوري على محورين أساسيين :  
**المحور الأول** : خاص بإشكالية تأسيس مدينة تكاوست القديمة خاصة بعد المرحلة التي عرفت بنكبة تكاوست , حيث خلص إلى أن هناك إشكالية تحديد تاريخ التأسيس التي لم تفك المصادر التاريخية لغزها , وتبقى إشكالية التأسيس مطروحة إلى أن تقول الأركيولوجيا كلمتها .

**المحور الثاني** : تحدث الأستاذ المحاضر عن المراحل التاريخية التي قطعتها مدينة تكاوست بدءا بالدولة المرابطية التي كانت تسيطر على المجال الصحراوي حيث كانت حواضر المغرب الصحراوي وعلى رأسها نول لمطة وتكاوست تابعة للدولة المرابطية . ثم بعد ذلك تطرق المحاضر إلى الحديث عن منطقة وادي نون عامة وتكاوست خاصة في ظل الدولة الموحدية التي دخلت في صراع مع بقايا المرابطين في الجنوب فكان أن فتحت باب المنطقة نحو البدايات الأولى للهجرات العربية الممثلة في قبائل معقل التي بدأت طلائعهم الأولى تتوافد على المنطقة وفي عهد الدولة المرينية تم الحديث عن بدايات التشكل الإثني والقبلي في المنطقة في صور جديدة فإلى جانب القبائل الأصلية ظهرت على الساحة قبائل أخرى كبنو عامر وبنو أحمر وغيرهم .. وفي عهد أحمد المنصور تم الإهتمام بالمنطقة بل تشير الروايات التاريخية على أن أحمد المنصور زار مدينة تكاوست مرارا في إطار مشاريعه الخاصة بغزو السودان وتطوير التجارة مع إفريقيا جنوب الصحراء وأروبا وقد عرفت مدينة تكاوست ازدهارا تجاريا في هذه المرحلة ستتراجع مع انهيار الدولة السعدية وفي منتصف القرن 17 ظهر تشكّل قبلي جديد أطلق عليه اسم قبائل تكنة التي ضمت حلفين متعارضين هما ايت الجمل وايت بلا وقد تربعت قبيلة ايت لحسن على زعامة ايت الجمل وامتد مجالها الترابي ليشمل تكاوست والمناطق المجاورة بحيث ستصبح المدينة عاصمة القبيلة وستتخذ اسما جديدا هو لكصايب .



## - المداخلة:

من بين الحواضر الجنوبية التي حظيت بشهرة واسعة في العصر الوسيط مدينة تكاوست عاصمة وادي نون وحاضرة سوس في عصر المرينيين والسعديين. وهي تستمد تسميتها من لغة صنهاجية ويكشف تاريخها عدة تقلبات وأزمات كثيرة بل كوارث مروعة مرت بها المنطقة منذ استيلاء الموحديين على السلطة وسيطرتهم على جنوب المغرب وصحرائه.

ويثير تأسيس تكاوست جدلا كبيرا وي طرح تساؤلات تتصل بتاريخ التأسيس وبالمؤسس أو المؤسسين. فالغموض يكتنف الموضوع والاضطراب يتخلل آراء الباحثين. فلا يعلم حقيقة إن كان أهل نول لمطة هم الذين شيّدوا تكاوست بعد اعتداء الموحديين عليهم وتشريدهم والتنكيل بهم خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري 554.553.552م كما لا يعلم إن كانت الحاضرة قائمة في الفترة التي تعرضت فيها نول لمطة لنكبة الموحديين. وما علينا إلا الرجوع إلى النصوص التاريخية لعلنا نظفر بما ينير الطريق ويشفي الغليل. ولعل ما كتبه البيذوي يلقى بعض الضوء على المأساة التي أصابت نول لمطة، يقول: "وخرج وسار لتاسريرت وساق غنائمهم ثم رجع أبو حفص لهشتوكة وهزمهم وساق غنائمهم. هزم أيضا أك أنكي لمطة وساق غنائمهم (...). ووصلت الغنائم إلى مراكش وبيعت بباب الشريعة الكروليات والمطيات والجمال والبقر والغنم" 1.

إذا ذهبنا مع الرأي الذي يقول، إن أهل نول لمطة هم الذين أسسوا تكاوست 2 فإن ذلك يبعث على الاعتقاد بأن تكاوست كانت موجودة في عهد الموحديين الذين دمروها ودمروا نول لمطة ويلقى بظلال من الشك على تأسيس اللمطيين لها إلا إذا أسست قبل هذه الفترة وجاء الموحدون فنسفوا بنيانها وخربوها.

لقد أشرنا، في مكان آخر 3 إلى المراحل التي قطعتها تكاوست بعد نكبة نول لمطة و تاغيجت على يد الموحديين. ومن المؤكد أنها كانت موجودة في القرن 7هـ/13م. 4 ولا يبعد أن تكون قد شيدت ودمرت ثم أعيد بناؤها غير مرة وعانت من اضطراب الأحوال وتقلبات الزمان تحت ظل الموحديين وبعدهم. من ذلك ما أصابها في فترة حكم علي بن يدر عامل الموحديين المنشق وفي أثناء سيطرة المعقليين على المنطقة الذين حلوا بالساقية الحمراء منذ القرن 7هـ/13م. 5 واستقروا بتكاوست.

وبقيت بين مد وجزر إلى أن تراجعت قوتها في عهد عبد الحق ويوسف بن يعقوب المرينيين. ولعل المدة التي استغرقت القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14 و15 الميلاديين من أشد الفترات غموضا في تاريخ تكاوست، ولا تزال هذه الفترة في حاجة ماسة إلى البحث والاستقصاء. ويستفاد من رأي أحد الباحثين المغاربة 7 أن نول لمطة (أسرير حاليا) وتكاوست مدينتان قديمتان جددهما عبد الله بن ياسين. ومعنى هذا أنهما تأسستا قبل الفترة المرابطية بزمن طويل أو قصير؟

ومن حسن الحظ أن القرون اللاحقة تزخر بالوثائق والمعلومات التاريخية والاجتماعية التي توفرها لنا كتابات الوزان وكربخال و ابن خلدون وغيرهم. ويستفاد من نصوص هؤلاء فوائد كثيرة منها أن لمطة الغرب هم سكان وادي نون وقد قتل منهم من بقي في البلاد على يد الموحديين أو انضموا إلى عرب معقل فأصبحوا يشكلون تكتة. ونفهم كذلك من نص الوزان أن قبيلة احمر كانت تقطن صحراء تكاوست.



واحمر هذه استولت على تكاوست بعد قبيلة بني عامر أي قبل وصول آيت لحسن إليها.  
وقد حللنا نص الوزان بنوع من التفصيل في كتابنا6 فليعد من شاء إليه لمزيد من  
المعلومات.

أما الكاتب الآخر الذي تحدث عن تكاوست بعد الوزان فهو كربخال (مارمول) وهو إسباني  
زار المنطقة في القرن السادس عشر الميلادي(1556م) وكتب كتابا عن إفريقيا.  
ونص كربخال لا يقل أهمية عن نص الوزان وإن كان من المحتمل جدا ان يكون كربخال قد أفاد  
مما كتبه الوزان.

ومما يفهم من نص كربخال أن السوسيين هم الذين أسسوا تكاوست ولكن متى كان التأسيس؟  
وقد حللنا نص كربخال في كتابنا المذكور آنفا لذلك نحيل عليه القارئ الكريم لمزيد من  
التفصيل، أيضا.

والنص الثالث عند تكاوست لإبن خلدون الذي عاصر دولة بني مرين.  
أفاض ابن خلدون، في تاريخه، في الكلام عن الموحيدين وعن بقية الدول والقبائل التي عاشت في  
المغرب. وتطرق إلى بني معقل وإلى وصولهم إلى السوس وإلى علاقة لمطة بذوي حسان. وساق  
أخبارا تتصل بدعوة ابن تومرت وبعلي بن يدر الذي فر إلى سوس وجاهر بالخلافة عام 651 هـ  
(خروجه عن الموحيدين) واستعان بالأعراب من الشبانات وذوي حسان وقبائل من كزولة ولمطة  
وإلى استمراره في تمرده على الموحيدين إلى أن استولى بنو مرين على مراکش عام 668هـ. وبعد  
كلام كثير، ذكر تكاوست.

وفي ما ذكره ابن خلدون عن المدينة اتفاق مع ما قاله كربخال بخصوص السوق الذي ينظم كل  
أسبوع فيها. وإن كان الوزان و كربخال قد أتيا بمعلومات قيمة تمس الجانب الاجتماعي و  
الاقتصادي والبشري من حياة السكان.

ولا نريد الإفاضة في الحديث عن النصوص الثلاثة، بل نترك ذلك لاجتهاد القارئ وفطنته،  
فليعد مرة أخرى إلى النصوص وإلى كتاب: آيت لحسن.  
ولنواصل حديثنا عن التطورات التي عرفتها تكاوست بعد فترة المرينيين وبعد الحد من المد  
المعقلي.

ومن تلك التطورات الهامة حملات الغزو الأيبيري التي استهدفت المنطقة بما فيها تكاوست.  
ومن مفاخر تكاوست والقبائل التي استقرت فيها وتعاقبت على حمايتها وتدبير شؤونها،  
مواجهتها للمد الأيبيري ودفاع أبنائها عن العقيدة وعن السواحل المجاورة لها.  
و إن تمكنت إسبانيا من تعيين حاكم يقيم فيها وينسق أموره مع جزر كناريا إلا أن السكان  
كانوا دائما على أهبة لحمايتها ودرء أخطار الأجانب عنها الذين ينهبون خيرات المنطقة ويعتدون  
على أهلها.

وإن تهافت المعتدين الأسبان والتجار الأوروبيين عليها لدليل على المكانة التي تبوأتها في  
القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. وهي مكانة اقتصادية وتجارية واجتماعية وهي  
السبب ذاته الذي جعل المنصور الذهبي يتخذها قاعدة انطلاقه نحو إفريقيا ويزورها مرارا ويتفقد  
أحوالها ويعنى بشؤون سكانها.8

وهكذا عاشت هذه الحاضرة لحظات مد وجزر، تطور وانكماش تزدهر تارة وتراجع تارة  
بحسب تقلبات الأحوال والدول، (والدنيا دول، كما يقال).

ازدهرت في عهد السعديين بعد ضعف اعتراها في عهد بني مرين و استرجعت قوتها في ظل  
حكم بودميعة بعد وهن أصابها، بعد وفاة المنصور السعدي وتراجع صيتها مجددا بعد القضاء على



تزرورت واحتلال كلميم مكانها تجاريا و اقتصاديا وإن حافظت على تقاليدها التجارية و الاجتماعية و بقيت حاضرة كبيرة من حواضر وادي نون حتى بعد ازدهار كلميم في ظل آل بيروك.

والمؤمل أن تستعيد(تكاوست)لقصابي أمجادها وتبعث، من جديد، مدينة عامرة بالخيرات والمسرات وبرجالاتها وأبنائها من آيت لحسن الذين حملوا لواء الاعمار والتجديد ونهجوا نهج أسلافهم في الدفاع عن وحدة المغرب وحماية السواحل من الدخلاء الذين يبدوا أنهم يحاولون في مستهل هذا القرن تكريس ما درج عليه أسلافهم، في القرون الماضية من اعتداء و اغتصاب و استيلاء على سواحل المنطقة و مداشرها بالمكر والخداع والعنف... وهذا ما تؤكد دلائل ملموسة وتجارب معيشة منها مثلا تسرب الأجانب إلى عمق وادي نون نول لمطة تحديدا وحرصهم على الاستيطان فيه بشراء الأراضي و اقتناء الدور في (تغمرت)وغيرها.

أليست هذه صيغة جديدة من الاستعمار الاستيطاني؟

ألا يتطلب منا جميعا هذا التصرف الحذر الشديد واليقظة المستمرة والوعي العميق بما يحدث بنا من أخطار وبما يبنيته أعداء الإسلام من دسائس ومؤامرات؟ فما الفائدة من التاريخ إذا لم نعتبر به؟

## النص 1

جاء في وصف تاكاوست للحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) ص 131 و 132 " تاكاوست مدينة كبيرة، و هي أهم مدينة في سائر بلاد السوس. ففيها ثمانية آلاف أسرة. و لها سور من الطوب النبي. و تقع هذه المدينة على مسافة ستين ميلا من المحيط و خمسين ميلا من جبال الأطلس باتجاه الجنوب. و قد عمرها آلاف الأفارقة. و على مسافة عشرة أميال منها نهر السوس. و فيها الكثير من دكاكين الباعة و الصناع في وسط المدينة.

و ينقسم السكان إلى ثلاثة أحزاب، تتصارع في ما بينها في معظم الأحيان. و قد استدعى احد الأحزاب العرب لنجدته ضد الحزب الآخر. و هؤلاء العرب يقدمون عونهم تارة لهذا، و تارة لذاك حسب الإمدادات التي ينالونها من أي جانب. و تعتبر أراضي الزراعة في هذه الناحية خصبة للغاية. و الماشية وفيرة. و يباع الصوف فيها بثمن بخس، و تصنع منه قطع قماش صغيرة يحملها تجار المدينة إلى تومبكتو و إلى ولاته و إلى بلاد السودان مرة في العام و يعقد السوق العام مرتين في الأسبوع. و يرتدي أهل تاكاوست ثيابا لائقة. و النساء جميلات جدا و لطيفات. و تظهر السمرة على كثير من الرجال لأنهم ولدوا من بيض و سود. و لا توجد هنا حكومة محددة المعالم. فالذي عنده أكبر سلطة هو الذي يحكم.

و قد بقيت مدة ثلاثة عشر يوما في هذه المدينة مع مستشار الشريف كي اشثري

منها إماء زنجيات لخدمة هذا الأمير. و هذا في عام 919 هـ "

هذا هو نص الوزان في التعريف بتكاوست عام 919 هـ / 1514م منطقة جزولة و وصفها و مكث فيها 15 يوما للاستمتاع مع الأمير الشريف.



## النص 2

جاء في وصف تكاوست لكربخال:

"هذه أعظم مدينة بإقليم سوس. ويقال إن السوسيين هم الذين أسسوها تحيط بها أسوار قديمة مبنية بالجير والطوب. وتقع في سهل على بعد عشرين فرسخا من جبل الأطلس إلى الجنوب.

وفيهما أكثر من ثمانية آلاف منزل. منها ما يزيد على ثلاثمائة لليهود الصنائع والتجار الذين يعيشون في حي منعزل.

يمر نهر سوس على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة. والبلاد كلها غنية بالقمح والماشية. كان لها نفس المزية التي لسابقتها (يقصد تيدسي، قريبة من تارودانت). ونفس الطريقة في حكم نفسها، عندما كانت حرة. لكن سكانها كانوا متعجرفين إلى حد أنهم لم يخلدوا قط إلى الراحة. وكانوا يتحاربون دائما منقسمين إلى ثلاث فرق تستجد كل واحدة بالأعراب بحيث إنهم كانوا مضطرين إلى أن يبقوا دائما على أهبة القتال، إلى أن استولى الشرفاء على المدينة كما ذكرنا ذلك في تاريخهم. يقام سوقان بالمدينة كل أسبوع يقصدهما أعراب المنطقة وبربرها كما هو الشأن بتيدسي، ويأتي إليهما التجار من بلاد الزنوج ليشتروا ثيابا غليظة من صنع أهل البلاد وهي ضيقة جدا. السكان سمر إلى سواد لأنهم غالبا ما يمتزجون بالزنوج لمجاورتهم لهم. يتعاملون فيما بينهم مثلما يتعامل سكان تارودانت. النساء بها لطيفات جدا وإن كن نساء سمرات لكن بكيفية تشتهيها الأنفس وتلذ لها الأعين ويحبه الأجانب كثيرا. كانت البوادي من ناحية نوميديا أهلة في القديم بأعراب أقوياء أشداء (أولاد الرحامنة) منضمين إلى الشرفاء..."

إن وصف كربخال مثل نص الوزان واضح ولا يحتاج إلى تعليق. ويستفاد منه أمور كثيرة، تأتي على ذكر بعضها في كتابنا هذا (عن آيت لحسن).

## النص 3

يبدأ ابن خلدون بالحديث عن الوادي (وادي نون) ثم يقول: "وعلى هذا الوادي بلدتا تكاوست، محط الرفاق والبضائع بالقبلة. و بها سوق في يوم واحد يقصده التجار من الرفاق وهو من الشهرة لهذا العهد بمكان، وبلد إيغري سفح جبال نكيسة بينهما وبين تكاوست مرحلتان. وأرض السوس مجالات لنزول لمطة" تاريخ ابن

خلدون 370/6

الإحالات

1\_البندق، أخبار المهدي



2\_ قال بهذا الرأي لاشابيل، تكنة ص33 وتبعه ناعمي، الصحراء من خلال بلاد تكنة ص87\_88 وناعمي:

**La dynamique des alliances\_ouest \_sahariennes p : 152**

وما أشار إليه لاشابيل وناعمي، أورده البيدق. وراجع كذلك ما كتبه ناعمي في معلمة المغرب/6 2084 2085 وكتابنا: آيت لحسن.

3\_ راجع كتابنا عن آيت لحسن، مبحث تكاوست.

4\_ ذكرها ابن سعيد الجغرافي ومؤرخون منهم ابن خلدون، كانت قاعدة إكروطن.

5\_ ناعمي، معلمة المغرب/6.2084.

6\_ المقصود كتابنا: آيت لحسن، القبيلة، التاريخ، المواقف.

7\_ محمد الغربي، الساقية الحمراء ووادي الذهب ص204

8\_ مصطفى ناعمي، تكاوست معلمة المغرب/6.2084.